اَلْحَيَوَانَاتُ وَالطُّيُورُ وَالزَّوَاحِف ، تَعِيشُ إِمَّا مُنْطَلِقَةً مُتَوَحِّشَةً فِى غَابَاتِ الْأَرْضِ وَصَحْرَاوَاتِهَا ، تَجْرِى أَوْ تَمْشِى أَوْ تَزْحَفُ أَوْ تَطِير... وَإِمَّا مُسْتَأْنَسَةً يُسَيْطِرُ عَلَيْهَا الْإِنْسان ... أَوْ فِى أَقْفَاصٍ وَحَظَائِرَ خَاصَّةٍ لِنُشَاهِدَهَا ، وَنَتَتَبَّعَ حَرَكَاتِهَا ، وَنَدْرُسَ طَبِيعَتَهَا ، دَاخِلَ حَدَائِقِ الْحَيَوَان .

وَمِنْ أَجْمَلِ حَدَائِقِ الْحَيَوَانَاتِ فِى الْعَالَم ، حَدِيقَةُ الْحَيَوَانِ فِى الْجِيزَة ، الَّتِى أُقِيمَتْ بِالْقُرْبِ مِنَ النِّيلِ فِى عَامِ ١٨٩٠ ، عَلَى مِسَاحَةِ ٨٠ فَدَّاناً ، بَعْدَ أَنْ أُضِيفَتْ إِلَيْهَا حَدِيقَةُ الْأُورْمَان .

obeikandl.com

اِشْتَهَرَتْ حَدِيقَةُ الْجِيزَةِ بِحَيَوَانَاتِهَا وَطُيُورِهَا وَزَوَاحِفِهَا ، الَّتِى تَمَّ إِحْضَارُهَا مِنْ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، وَبِخَاصَّةٍ الْمَنَاطِقُ الاِسْتِوَائِيَّةُ . وَبِهَا خَمْسُ (جَبَلَايَاتٍ) ذَاتِ مَنْظَرٍ جَذَّاب . وَأَكْبَرُهَا مُزَيَّنَةٌ بِتَمَاثِيلَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْحَيَوَانِ الْمُنْقَرِضِ الْمُسَمَّى «خَرْتِيت الْفَيُّوم» . وَبِالْحَدِيقَةِ مُرْتَفَعَاتٌ مُخْتَلِفَة ، وَنَبَاتَاتٌ مُتَنَوِّعَة ، وَمَمَرَّاتٌ وَدَهَالِيزُ وَمَرَايَا وَمَقَاعِدُ وَشَلَّالَاتٌ تَتَدَفَّقُ مِيَاهُهَا دَاخِلَ مَغَارَاتِهَا وَخَارِجَهَا ، وَتَصُبُّ فِى بُحَيْرَةٍ صِنَاعِيَّة ، يَتَوَسَّطُهَا (كُشْكٌ) لِلْمُوسِيقَى ، وَيَسْبَحُ عَلَى صَفْحَتِهَا إِوَزٌّ وَبَطٌّ مِنْ كُلِّ لَوْن ، وَتُطِلُّ عَلَيْهَا جَزِيرَةُ الشَّاى .

obeikandl.com

وَفِى الْحَدِيقَةِ مُتْحَفٌ أُقِيمَ سَنَةَ ١٩٠٦ ، تُعْرَضُ فِيهِ الْحَيَوَانَاتُ وَالطُّيُورُ وَالزَّوَاحِفُ الْمُخْتَلِفَة ، وَالْهَيَاكِلُ الْعَظْمِيَّةُ لِلْحَيَوَانَاتِ الْمُنْقَرِضَة ، مِثْلِ الْحُوتِ الضَّخْمِ[1] ، وَذٰلِكَ لِتُصْبِحَ مَرْجِعاً عِلْمِيًّا . وَمُلْحَقٌ بِالْحَدِيقَةِ مَكْتَبَةٌ عَامِرَةٌ بِكُتُبِ الصَّيْدِ وَمُجَلَّدَاتٍ كَبِيرَةٍ كَثِيرَةٍ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَوَحِّشَة ، مِمَّا يُعْطِى الْقَارِئَ الْبَاحِثَ عُمْقاً فِى الْمَعْلُومَاتِ عَنْهَا إِذَا ما أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ تَعِيش ؟ وَمَاذَا تَأْكُل ؟ وَكَيْفَ يَتِمُّ صَيْدُهَا أَوِ اسْتِئْنَاسُهَا ؟

(١) هناك هيكل حوت ضخم يبلغ طوله ٢١ متراً تقريباً .

obeikandl.com

وَأَغْلَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتِى بِالْحَدِيقَةِ الْآن ، الْكَرْكَدَنُ الْأَبْيَضُ الْمَعْرُوفُ بِالْخَرْتِيت ، أَوْ وَحِيدِ الْقَرْن ، وَيُقَدَّرُ ثَمَنُ الزَّوْجِ منْهُ بِأَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ جُنَيْه ، وَذٰلِكَ لِنُدْرَتِهِ وَصُعُوبَةِ صَيْدِه ، عَلَى حِينِ نَجِدُ الْفِيلَ وَالزَّرَافَ يَصِلُ ثَمَنُ الزَّوْجِ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا إِلَى أَلْفَيْنِ مِنَ الْجُنَيْهَات . . . وَالْأَسَدُ ثَمَنُهُ خَمْسُونَ جُنَيْهاً أَوْ أَقَلّ ! تَصَوَّرْ !

وَفِى الْحَدِيقَةِ طُيُورٌ مُخْتَلِفَةُ الْأَلْوَانِ وَالْأَحْجَام ، مِنَ النَّعَامَةِ إِلَى الْبَبَّغَاءِ وَالْبُلْبُلِ الَّذِى لَا يَتَجَاوَزُ ثَمَنُهُ قُرُوشاً مَعْدُودَة !

وَإِذَا اسْتَغْرَبْنَا أَنَّ النَّعَامَةَ مِنَ الطَّيْر ، مَعَ أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الطَّيَرَان ، لِثِقَلِ جَسَدِهَا ، فَإِنَّ هُنَاكَ أَيْضاً حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةً مِثْلَ الْكَانْجرُو الَّذِى يَحْمِلُ وَلَدَهُ فِى كِيسٍ يَتَدَلَّى مِنْ بَطْنِه . . . وَيَقْفِزُ فِى الْهَوَاءِ قَفَزَاتٍ وَاسِعَةً طَوِيلَة ، وَذٰلِكَ عَنْ طَرِيقِ قُوَّةِ ذَيْلِهِ وَقَدَمَيْه .

وَلَعَلَّ التِّمْسَاحَ أَغْرَبُ الْحَيَوَانَاتِ الزَّاحِفَة ، فَإِنَّهُ يَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ وَدَاخِلَ الْمَاء ، وَلٰكِنَّ أُنْثَاهُ لَا تَلِد ، وَإِنَّمَا تَضَعُ بَيْضاً مِنْ ٤٠ إِلَى ٦٠ بَيْضَةً فِى السَّنَة ، وَتَرْقُدُ عَلَيْهَا شَهْرًا ، قَبْلَ أَنْ تَفْقِسَ بَيْضَها ، وَتَخْرُجَ صِغَارُهَا .

obeikandl.com

وَالْأَسَدُ أَقْوَى الْحَيَوَانَاتِ جَمِيعاً ، وَذٰلِكَ لِخِفَّةِ حَرَكَتِه ، وَسُرْعَتِهِ الْفَائِقَة ، وَشَجَاعَتِه ، وَقُوَّةِ مَخَالِبِهِ وَأَنْيَابِه .

وَلِهٰذَا عِنْدَمَا رَأَى أَجْدَادُنَا الْقُدَمَاء ، أَنْ يَنْحَتُوا تِمْثَالَ «أَبُو الْهَوْل» ، لِيُعَبِّرَ عَنْ قُوَّةِ الْجَسَدِ وَقُوَّةِ الْفِكْر ، جَعَلُوا شَكْلَهُ الضَّخْمَ فِى صُورَةِ أَسَدٍ رَابِضٍ فِى صَحْرَاءِ أَهْرَامِ الْجِيزَة ، رَأْسُهُ رَأْسُ إِنْسَان .

وَالْأَسَدُ مَعَ قُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ أَنْبَلُ حَيَوَانٍ كَاسِر .

obeikandl.com

وَفِى الْحَدِيقَةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الثَّعَابِينِ الْمُخْتَلِفَةِ الطُّولِ وَالْأَلْوَان ، مِنْهَا « الْكُوبْرَا السَّامّ » ، وَمِنْهَا ثَعَابِينُ الْغَاب ، الَّتِى إِذَا مَا الْتَفَّ الْوَاحِدُ مِنْهَا حَوْلَ جَسَدِ إِنْسَانٍ حَطَّمَ عِظَامَهُ وعَصَرَهُ ، فَيَمُوتُ مِيتَةً بَشِعَة . . .

وَبَعْضُ هٰذِهِ الثَّعَابِينِ يَنَامُ مُدَّةَ الشِّتَاء ، وَمِنْهَا مَا يَتَغَذَّى بِأَنْ يَبْلَعَ حَمَامَةً كَامِلَة .

وَقَدْ ضَمَّتْ حَدِيقَةُ الْحَيَوَانِ أَيْضاً حَيَوَانَاتٍ ظَرِيفَة ، ذَكِيَّةً جِدًّا ، فِى مُنْتَهَى خِفَّةِ الرُّوحِ وَالْحَرَكَة ، هِىَ الْقِرَدَة .

وَقَبْلَ أَنْ نَخْتَتِمَ رِحْلَتَنَا السَّرِيعَةَ فِي هٰذِهِ الْحَدِيقَة ، تَعَالَ مَعِي لِنَرْكَبَ زَوْرَقاً ، نُحَرِّكُهُ بِوَاسِطَةِ بَدَّالَاتٍ كَالدَّرَّاجَات ، لِنَعْبُرَ بِهِ مِنْ خِلَالِ قَنَوَاتٍ مَائِيَّةٍ بَعْضَ الْمَسَافَات .

وَأَظُنُّكَ لَا تَرَى مَانِعاً أَنْ نَرْكَبَ مَعاً فَوْقَ ظَهْرِ فِيلٍ مُسْتَأْنَس ، فِي هَوْدَجٍ خَاصّ ، لِيَخْطُو بِنَا خُطُوَات ، مُقَابِلَ قُرُوشٍ مَعْدُودَة ! أَوْ نَرْكَبَ تِلْكَ الْعَرَبَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي يَجُرُّهَا الْحِصَانُ الْقَصِيرُ « السِّيسِي » ! إِنَّهَا رِحْلَةٌ تَرْفِيهِيَّة ، وَمُفِيدَةٌ عِلْمِيًّا .